**المحاضرة رقم 06:**

**نماذج من النصوص الوطنية في تونس والمغرب:**

مع تطور الأحداث في تونس والمغرب عقب الحماية وسيطرة الفرنسيين على مختلف مناحي الحياة، بدا التونسيون والمغاربة يحسون بغياب سلطة محلية قادرة على مواجهة المحتل، فانبرى عدد منهم للكتابة وتنبيه عموم الناس بمساوئ الاحتلال الفرنسي، ومن هؤلاء:

**عبد العزيز الثعالبي وكتابه تونس الشهيدة:**

كتاب "تونس الشهيدة" ليس من تأليف الثعالبي الشخصي بل ثمرة مجهود جماعي، وقد نسب للمناضل السياسي ومؤسس الحزب الدستوري القديم عبد العزيز الثعالبي، الذي حاجج الاستعمار بوسائله الفكرية وكتابه "تونس الشهيدة" أبرز التناقض بين فرنسا الأفكار وفرنسا الاستعمار

حُرّر نص “تونس الشهيدة” في ما بين 1919 و1920، وهو بذلك ينتصف فترة الاستعمار الفرنسي لتونس، ويجزئها إلى قسمين اثنين، قسم ما بين 1881 إلى 1920 حيث كانت الحركة الوطنية تناضل تحت عناوين كثيرة، وقسم ما بين 1920 إلى 1956 حيث باتت للحركة الوطنية نصوص تأسيسية ومطالب توافقية وتمثّل محدّدا لطبيعة الصراع مع الاحتلال.

بهذا المعنى يكون بيان “تونس الشهيدة”، فاتحة المدونة النضالية وديباجة نص الحركة الوطنيّة بل وبداية تشكلها في تكوين سياسي سيحمل اسم الحزب الدستوري والذي بنى جل أطروحاته ومقارباته على نصّ تونس الشهيدة

عديدة هي الزوايا التي من خلالها يمكن قراءة “تونس الشهيدة”، فالزاوية التاريخية تبسط ثقلها وتفتح جوانبها من خلال تأكيد معظم الروايات التأريخية بأنّ المرحومين أحمد السقا وعبدالعزيز الثعالبي عكفا خلال 1919 على صياغة تونس الشهيدة، حيث أوكل النص بصيغته العربية إلى الثعالبي وترجمه إلى الفرنسية المرحوم السقا؛ فكان النصّ متينا في مضمونه، مرتّبا في أفكاره، وسابقا لزمانه بأشواط كثيرة.

بمنأى عن المسألة الدستورية التي وضعها الثعالبي جوهر بيانه الوطني، وبمنأى أيضا عن المطلبية السياسية والإدارية التي بالإمكان أن تكون مبحث الأرشيفيين، لا سيما وأنّها بنت حقبة العشرينات في القرن الماضي. فإن النص يحمل الكثير من المعاني التقدمية والمبادئ التحديثية.

لا نتقاطع كليا مع من يؤكد أن البيان كتب للرأي العام الفرنسي الذي كان لا يعرف الكثير عن “المسألة التونسية”، ولا نتفق بصفة مطلقة أيضا مع من يعتبر أن “تونس الشهيدة” حُبّر لصناعة توافق في اليسار الفرنسي بالإمكان التعويل عليه في مسار التحرر الوطني، ذلك أن الكتاب لامس العقل الفرنسي الحداثي وصافح التمثل الاستعماري للإنسان، ونافح بينهما ليقيم الحجة على أن السياسة الاستعمارية الفرنسية في تونس غير متوافقة مع فرنسا مبادئ الجمهورية والمساواة.

بني نص “تونس الشهيدة” على إحداث المفارقة بين المبادئ والسياسات، بين فرنسا الداخل وفرنسا الخارج، بين فرنسا التاريخ والثورة وفرنسا الحاضر والاستعمار، مؤكدا أن جل ما تقوم به حكومات الحماية الفرنسية، بداية من المقيم العام إلى أبسط موظف فرنسي، إنما هو شديد التناقض مع المبادئ الحداثية للعالم الحر.

لم يضع الثعالبي الاستعمار الفرنسي في مواجهة مع مطلبية الكيان التونسي، إنما وضعه في قبالة ومكافحة ومواجهة مع مقولة التحرر الإنساني ومبادئ حقوق الإنسان وحقّ الشعوب في تقرير مصيرها.

وقد استدلّ الثعالبي بهذا السلوك وبغيره من السلوكيات الأخرى ليثبت أنّ العقلية الاستعمارية هي عقلية عنصرية سمجة تتأسس على مقولات التفوّق الطبيعي، وتنبني على ادّعاءات الدونية العرقيّة، وهي بكل السبل والمسلكيات بعيدة كل البعد عن الإنسانية المزعومة فرنسيا.

وهكذا يبدو نص تونس الشهيدة نصا تاريخيا متميزا في عصره، ويجب ان يدرس في سياق التطورات التي عرفتها البلاد خلال الفترة التي اعقب الحرب العالمية الاولى .

**علال الفاسي و الحركات الاستقلالية في المغرب العربي:**

يوضح علال الفاسي في بداية دراسته انه يهدف من خلالها الى تقديم صورة واضحة عن المقاومة المغاربية في شتى صورها الحربية والدبلوماسية، والسياسية، وقد حاول تبيين الاسباب التي دفعته الى هذا التاليف منها ان الموضوع بالغ الاهمية فلا يكفي فيه فصل واحد تنشره احدى المجلات او يطبع ضمن مجموعة تحتوي على فصول متنوعة، بالاضافة الى تشجيع الادارة الثقافية لجامعة الدول العربية للمؤلف لانجاز مثل هذا العمل.

ذكر المؤلف في بداية كتابه الصفات البطولية والشغف إلى الحرية الذي كان يتميز به المغاربة في جميع مراحل حياتهم، كما ذكر بعض الباحثين الفرنسيين الذين كانوا يمجدون الاستعمار ويحاولون تلميع صورته في ذهن الشباب المغربي.

وقدم المؤلف لمحة تاريخية بدءا من الفترة الرومانية ووصولا الى الاحتلال الفرنسي.

جاء كتاب الحركات الاستقلالية في شكل اقسام كان القسم الاول منها خاصا بالمغرب الاوسط او الجزائر والقسم الثاني خاص بتونس ، اما القسم الثالث فهو خاص بالمغرب الاقصى.

والملاحظ ان المؤلف حاول في القسم الخاص بالجزائر ان يبين دور السلطان المغربي في دعم المقاومة الجزائرية للمحتل الفرنسي.

وتطرق الى جوانب من السياسة الفرنسية في الجزائر وردود فعل السكان اتجاهها.

كما ان المؤلف تعرض الى علاقته بمصالي الحاج ولقائه به في فرنسا سنة 1933 بعد نفيه الى هناك.

وتطرق المؤلف إلى تطور الحركة الوطنية الجزائرية والأحداث المتعاقبة التي عرفتها وصولا إلى مأساة 8 ماي 1945 التي خصص لها المؤلف حيزا في كتابه هذا.